العجائب لابن الوردي في أبسالا (١٧٥٧) ورسالة ابن زيدون في ليبسيك (١٧٥٥) ومنتخبات من شعر المتنبي فيها (١٧٦٥) ووصف الشام لابي الفداء فيها (١٧٦٦) ومقصورة ابن دريد في هردرفيغ (١٧٦٨ و ١٧٨٦) ولاميَّة الطغرائي في فرنكفورت (١٧٦٩) ووصف مصر لابي الفداء في غوتا (١٧٧٦) وتاريخ ابي الفداء في كوپنهاغ (١٧٨٩) وكتاب عبد اللطيف في الامور المشاهدة بمصر في توبنغ (١٧٨٩) واكسفرد (١٨٠٠) وآثار العرب في صقلية لغريغوريوس روزاري في بالرمة (١٧٩٠) ومنتخبات من تقويم البلدان لابي الفداء في ليبسيك (١٧٩١) ومعلقة زهير فيها (١٧٩٢) والنقود الاسلامية للمقريزي في رُستك (١٧٩٧) وفي سنة ١٨٠٥ طبع العلامة دي ساسي في باريس منتخباته النفيسة التي دعاها « الدليل المفيد للطالب المستفيد » في ثلاثة اجزاء ضخمة. ومذ ذاك الحين دخلت المطبوعات الشرقيَّة لاسيما العربية في طور جديد بحيث صار عددها يُربي في أوربَّة على المئات ونحن نقف عند هذا الحدّ لنقصر النظر على المطابع الشرقية في بلاد الشَّرق ونُرجئ تتمَّة مقالتنا الى الاعداد الآتية (ستأتي البقيَّة)

السفر العَجَب الى بلاد الذهب

للاب اميل ريتو اليسوعي (تابع لما سبق)

الفصل الثاني

السفر على سفينة كلفلند

— متى يقلع المركب كلفلند من سان ميشل ؟

— بعد ثمانية ايام

— ثمانية ايام.. يا فتى! او ليس سفينة أخرى تسافر قبلهُ ؟

— كلاَّ يا سيدي

فما سمع فاضل (وما كان السائل غيرهُ) حتى ضرب الارض برجلهِ وصار يمشي ذهابًا وايابًا على ضفَّة النهر كرجل ضُرب في ساعدهِ ونالهُ بلاء عظيم

وكيف لا يضطرب.. فان الساعات للخائف المذنب تُعدّ اطول من الاجيال...

وما زاد فاضلاً هلعاً أنهُ سمع في احد مطاعم سان ميشل قوماً يتكلّمون عن تواري رجل في دانسون يدعى مستر سيبن (وهو الاسم الذي اتخذهُ نسيب اولري بعد قتل حميه) فانخلع قلب فاضل هلعاً واسرع بعد اكلهِ لقمتين وخرج من المطعم ممتقع اللون. لكنهُ لم يتجاوز عتبة الباب حتى بلغ مسامعهُ صوت الحضور المتهتهين الضاحكين منهُ وميّز صوت احدهم يقول: « ما اشبه هذا الانسان برجل خائف على دمهِ »

فخرج واخذ يطوف الساحات وجعل لهُ قبعةً كبيرة كان يستر بها وجههُ اذا سار في الشوارع لئلا يعرفهُ احد وكان ضحكُ فئة المطعم المذكور آنفاً يطنّ في آذانهِ لا يدع لقلبهِ راحةً. اما الليل فكان يقضيهِ وهو يتململ على فراشهِ فلا يزور الكرى جفنهُ. وكان اذا صادف في نهارهِ احداً يخال لهُ انهُ يريد سَبر غورهِ ليعرف حقيقة حالهِ ويشهر امرهُ للشُرط. فكان هذا الفكر يملأُ لبَّهُ وعياً حتى انَّ عرقاً بارداً كان يبلّل جسمهُ وينهك قواهُ فيضطرّ ان يرمي بنفسهِ في بعض زوايا المدينة وهو يردّد في قلبهِ:

« نعم ان نسيباً كان من المجرمين الكبار اذ قتل حماهُ وها قد اذاقهُ الله كأساً اشربها غيرهُ قبلاً. . ولكن من جعل فاضلاً نصيراً للقتيل كي يأخذ بثأرهِ. . . او ليس فاضل من الاوباش وكم اجترح اثماً منذ وطئت رجلهُ ارض اميركة لاسيما في متاجراتهِ بالرقيق في شيكاغو وتركهِ بروسبر اولري في مضايق شيلكوت في وسط الثلوج والجمد بعد ان احسن اليهِ ونجّاهُ من سكَرات الموت. . أفيترك ربٌّ عادل في السماء مثل هذه القبائح الشنيعة دون عقاب ؟ »

كلاَّ ثمَّ كلاَّ فان الله كان اعدَّ لفاضل سَوط غضبهِ ليضربهُ بهِ آجلاً

وبينما كان فاضل يطلب بفروغ الصبر من يديهِ الى مركب تُقلع بهِ من سان ميشل اذ سمع ساعة البلد تدقُّ الساعة الثانية بعد الظهر فاخذ يهيم حائراً في الشوارع حتى بلغ وهو سكران من الهمّ مربط السفن فوقف بازاء البحر وعينهُ شاخصة الى الأفق كأنهُ يرقب على بعد مجيَّ باخرة يلقى فيها النجاة

فبقي على هذه الحالة نحو ساعة من الزمن بانت لهُ اطول من سنة وكان يودُّ لو تسيخ الارض بهِ فيتوارى عن منظر الجمهور لئلا يقف احد منهم على حقيقة امرهِ ويسلّمهُ الى ايدي الشرط. وكان صوت ضميرهِ لا يزال يدوي في آذانهِ ويردّد على

مسامعه: « ويحك ماذا صنعت بنصيب ؟ أبشر بالبلاء القريب . فانَّ دم مواطنك لا يذهب هدرًا

وبينما كانت الهواجس تخالج قلب فاضل وتتنازعهُ الافكار وهو لا يعلم كيف يقضي ثمانية ايام في هذه الحالة التعيسة اذ رأى دخانًا يتصاعد الى عنان السماء من احدى سفن الرسى فحدجها بنظرهِ وعرف انها سفينة صغيرة انكليزيَّة معدَّة لشحن الفحم . فسأل من ساعتهِ نوتيًّا سرَّ بقربهِ: « اترى انَّ هذه السفينة على وشك السفر ؟ »

— هذه سفينتنا واليوم مساء ان شاء الله نُقلع راجعين الى الولايات المتحدة

— اليوم ؟ . في هذا المساء ؟ . اواه ما اعظم شوقي الى السفر معكم . . . وهل من وسيلة الى مخابرة الرَّبان في هذا الشان ؟

— انتظرهُ هنا فانَّهُ في البرّ وسيعود الى سفينتهِ بعد ساعةٍ من الزمان

— أتظنّ ان الرَّبان يمنّ عليَّ فيقبلني في سفينتهِ ؟

فلمَّا سمع النوتي هذا الكلام اخذ يقهقه بصوتٍ عالٍ حتى استغرب في الضحك . ثمَّ عاد الى سكينتهِ وقال لفاضل :

اراك تبتاع البلاء رخصًا . ألا تعلم ان من يركب سفينةً كسفينتنا يسود بعد ساعات قلائل اسود كالفحم ؟ ولولا ضنك العيش لما وطئتها قدمنا . ولكن لا بأس فانا اعضدك عند الرَّبان بشرط ان تدفع لنا حقَّ السفر

قال النوتي ذلك وسار في طريقهِ ضاحكًا . امَّا فاضل فشعر بالاهانة وورَّدت حمرةُ الخجل خدَّيهِ لاسيما اذ رأى انَّ السابلة سمعوا ما دار بينهُ وبين البحَّار من الكلام فجعلوا يضحكون منهُ

على انَّ فاضلًا مكث في مكانهِ يترقَّب رجوع الرَّبان الى سفينتهِ وهو يغضي على الضيم ساكتًا واجمًا . فلمَّا ازفت الشمس الى المغيب رأى رجلًا كبير القامة رحب المنكبين اشقر الشعر طويلهُ كثّ اللحية ضخم المنخرين يقترب من الميناء فللحال اتاهُ قارب من سفينة الفحم يقلُّهُ الى المركب . ففهم فاضل انَّهُ الرَّبان . فاسرع اليهِ وسألهُ بصوت خانع :

ألا تريد يا سيّدي ان تقبلني في سفينتك ؟

— في سفينتي ؟ . ومن انت ؟ . .

فقلق فاضل لدى استماعهِ هذا السؤال لكنَّهُ ضبط نفسهُ وتجلَّد . ثم اردف الرَّبان :

لا جرم انك احد المدنين المفلسين تبغي ركوب سفينتي مجانًا . . كلَّا لا ارضى

— سيدي انني ادفع لك حقَّ السفر . . . وانا في حاجة الى الرحيل باقرب وقت

قال ذلك واخرج من جيبه كيس دراهم اراها القبطان كدليل واضح على صدق مقاله فتبسَّم القبطان وتقدَّم الى البحَّارين بان يدعوا المسافر يركب قاربهم

ولم يمرّ على فاضل بضع دقائق حتى وطئت قدمهُ سفينة كاڤلند . فرقي السلَّم على عجلةٍ كرجل لا يرى النجاة الَّا في وسط السفينة

ثمَّ ادخلهُ الرَّبان في حجرتهِ واستقضاهُ حقَّ السفر تماماً ثمَّ عيَّن لهُ كوخًا صغيرًا في مؤخر السفينة يحتلُّهُ في اثناء الرحلة الى الولايات المتحدة

امَّا السفينة كاڤلند فكانت صغيرة حالكة اللون قذرة الجوانب يمكنها شحن ٣٠٠ طنٍّ من الفحم . وكان لها صاريان قصيران اشبه بدقلين ومدخنة كبيرة مدهونة بالاحمر . امَّا جهاز السفينة فكان كلهُ متناسباً لونق الفحم لم ترَ محلًّا خلوًا منهُ اللهمَّ الَّا حجرة الرَّبان ومقام البحَّارين وبعض اكواخ ضيِّقة في زوايا السفينة . ففي احد هذه المساكن الحرجة اسكن الرَّبان فاضلًا مدَّة السفر الذي لا يقلّ عن خمسة عشر يوماً

ولمَّا رأى البحَّارون لاوَّل مرَّة هذا الراكب الجديد اخذوا يتهامسون ويتوشوشون ويتقوَّلون في امرهِ الاقاويل الشتى لكنَّ صفير الرَّبان دعاهم بعد قليل الى اعمالهم فشُغلوا عن فاضل . وكانوا لحرج السفينة يدفعونهُ ذات اليمين وذات الشمال في ذهابهم وايابهم حتى اصبحت بعد زمن قليل ثيابهُ البيض سودًا بل لصق ذرور الفحم بجسمهِ فصار وجههُ واطرافهُ كلون الفحم

بيد انَّ فاضل لم يعبأ بهذه الامور المكدرة وكان كلّ فكرهِ ان ينجو قريباً من ايدي الحكومة . ولمَّا اخذت السفينة في المسير شعر كانَّ حملًا باهظاً سقط عن اكتافهِ وألقى نظرهُ الاخير الى اراضي الذهب فلعن بخته المشؤوم الذي قادهُ من جبلهِ لبنان حيث كان حليف الدعة والسكينة الى هذه البلاد القاصية التي جرَّعتهُ الغُصص ألوانًا

ولمَّا توارت الارض عن العيان وامتدَّت ستائر الظلام على غمر البحار جلس فاضل في مؤخر السفينة ليأخذ نصيباً من الراحة قبل ان يأوي الى كوخهِ القذر ذي الروائح الكريهة . وكانت السماء وقتئذٍ مغبرَّةً والجوّ قاتمًا والطبيعة كلها في سكينة لا يبلبلها سوى صوت السفينة الماخرة المياه الَّا انَّ سكون الطبيعة لم يكن ليلطِّف جلبة قلبهِ ويدفع

مهاز ضميره فكانت الافكار تتناوبهُ وتزعجهُ كأنهُ البحر العجَّاج المتلاطم بالامواج

وبينما كان فاضل المسكين يردّد في عقله هذه الافكار المحزنة وعينهُ لا تكتحل بسهاد اذ أُتيح لهُ ان يعاين مشهدًا جميلًا لم يحظَ بمثلهِ في بلدهِ سوريَّة بل قلَّما يحدث في غير الاصقاع الشماليَّة نعني بذلك الشفق القطبي المعروف ايضًا بالفجر الشمالي

فانَّهُ رأى اولًا في الأُفق من جهة الشمال ضياء خفيفةً كأنها بُلجة الفجر. ثم نظر غمامةً كثيفة قاتمة اللون اعترضت في عنان السماء على شكل قطعة دائرة مظلمة ولم يلبث ان رأى قوسًا من النور كأنهُ القنطرة من احد جانبي السماء الى الجانب الآخر فوق الابخرة المتكاثفة. وكان لون هذه القوس المنيرة ابيض ضاربًا الى الصفرة واخذ نورها ينصع ويشتدُّ دون ان يمحق اضواء الكواكب التي تُستشفّ من ورائهِ. وكان هذا النور يتموَّج وينتقل كأنهُ اللهيب تتلاعب بهِ الرياح. وكان في بعض الاحيان يتقسَّم حزمًا منتظمة واعمدة نيّرة كأنها رواقٌ من النار لبناء عجيب حُجب عن الابصار

وبينما كان فاضل يشخص الى هذا المرأى الغريب اذ انتصبت من الاقواس النارية امواج من النور مختلفة الالوان تصاعدت الى سَنت السماء. وكان لونها اخضر في اسفلها واصفر ذهبي في وسطها واحمر ارجواني في طرفها وكان من ينظر اليها يعدُّها كسهام نارية وقذائف ملوَّنة تخترق السماء وتمتدُّ في كلّ جوانب الافق منها بيضاء لامعة ومنها خضراء كالزمرد او حمراء كالدم او صفراء ذهبية الى غير ذلك من الالوان البهيَّة. وكان لهذا المنظر ادوار متوالية فتزول الضياء حينًا وتتَّحي الرسوم ثمَّ تعود الى بهائها الاوّل بل تزيد حسنًا ورونقًا حتى جلَّلت كلّ خوافق الأُفق واصبحت كأنها اكليل من النور ينتهي في اعلاهُ بقبَّة من الارجوان

فبهت فاضل لدى هذا المنظر الباهر ووقف واجمًا متحيّرًا لا ينطق ببنت شفة بل كان يشعر في غضون هذا الاثر الجوّي بقوة تعالى الذي يتصرَّف بخلائقهِ كيف يشاء.

اما الملاحون فكان اسرعوا فاجتمعوا على ظهر السفينة ليعاينوا هذا الفجر الشمالي فوجدوهُ ابهى من كلّ الآثار الجوّية التي ألفوها سابقًا. وكان فاضل يسمعهم يقولون انَّ سبب هذا المشهد الجليل هو السائل المغناطيسيّ المتراكم في جهات القطب الشمالي. ومنهم من يزعم انهُ ناشئ من قذائف الجبال الناريَّة الشماليَّة الى غير ذلك من الاقاويل التي كانوا قرأوها في الجرائد. اما هو فلم يدرِ من امر هذا الاثر شيئًا

سوى أنهُ غاية في الغرابة والجمال وابدع من بهاء الفجر ومظاهر شفق الافق عند غياب الشمس التي طالما كان ابتهج بها في لبنان مساء صباح. فبات محدقاً بابصارهِ الى هذا المرأى العجيب حتى سمع بصوت قوي كأنهُ هبوب ريح شديدة او انقضاض بيت عالٍ فبرقت السماء وتوارى بغتةً مشهد ذلك الفجر النيّر. ورأى فاضل بضوء ذلك البرق الاخير ملاحاً صغيراً كان بقربهِ رسم على صدرهِ سمة الصليب قائلاً: ما اجمل اعمال الله وابدع صنعهُ (ستأتي البقية)

مطبوعات شرقية جديدة

INSCRIPTIONS MANDAÏTES DES COUPES DE KHOUABIR

كتابات للمندائين او الصابئة مخطوطة على اقداح خوابير . القسم الثالث

par H. Pognon Consul de France à Alep

3e *partie pp.* 233-328, *Paris, Imprimerie Nationale*, 1899

سبق لنا في المشرق (٢: ١١٠٠) وصف القسمين الاوّلين من هذا الكتاب النفيس حيث بيّنا ما في نشر كتابات خوابير من الخطر والشأن. وها قد نجز اليوم القسم الثالث من هذا التأليف وهو يحتوي على ملحقين مفيدين لتعريف طائفة الصابئة واصول معتقداتها الباطلة. والحقُّ يقال ان الشواهد التي استند اليها سعادة مؤلف هذا الكتاب هنري پونيون قنصل الدولة الفرنسويّة في حلب تميط جانباً من الحجاب الذي كان يحول دون معرفة هذه الشيعة المجهولة. وما يزيد هذا القسم الاخير قيمةً انهُ يشتمل على معجم مطوّل لشرح المفردات المندائية التي وردت في الكتابات السابق نشرها. وهذه بلا شك خدمةٌ جديدة احرز بها سعادة القنصل ثناء المستشرقين

I TEMPI, LA VITA E IL CANZONIERE

DELLA POETA ARABA AL-HANSA'

الخنساء وزمانها وترجمتها وديوانها باللغة الايطالية

Saggio di Studio da Giuseppe Gabrieli

Firenze, 1899, in-4 ,pp. 285

يعرف قراؤنا ما لمراثي الخنساء من الشهرة والشأن الخطير. وذلك ما حدانا الى ان ننشر ديوانها بالطبع مرّة اولى سنة ١٨٨٨ بعد ان وقفنا على نسخة منهُ في حلب الشهباء. ثمَّ تجوّلنا في عواصم اوربّة ونواحي العراق فاسعدنا الحظ على جمع خمس نسخ